قصيدتا جهد المقل وهدية الأحباب للشيخ عبد السلام البرناوي النيجيري «دراسة تحليلية»

د. بابكر الأمين الدرديري • / أ. عمر عبد الله عمر ••

ملخص

يعد المديح النبوي من أبرز فنون الشعر العربي بل هو من الطليعة ومن أكثرها مادة. وفيه يعبر الشاعر عن إعجابه بصفات الممدوح فيعدد مناقبه، لأن المدح في العصر الجاهلي كان للكسب، أما في العصر الإسلامي فقد أصبح للشخصيات البارزة في الإسلام التي قدمت إسهاماتهم في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، هدفت الدراسة إلى التعرف بالمديح النبوي الشريف وطريقة نظمه، وإبراز أهم ملامح ومظاهر المدح في الشعر العربي البرناوي بصورة ملموسة، والشروع في بناء واقعهم واكتشاف مهاراتهم الشعرية، وإسهاماتهم في المديح النبوي للاستفادة من التراث العربي البرناوي وأخذ ما يوجد فيه من الفوائد والعبرة بما يقوم به العلماء لإحياء لغة القرآن الكريم وإظهار أثر حب النبي -صلى الله عليه وسلم- وبيان دور علماء برنو في إيضاح أثر المديح النبوي في تنمية المجتمع الإسلامي، اتبع الباحثان في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، توصلت الدراسة إلى عِدَّة نتائج أهمها: أنَّ المديح النبوي يعد من أكثر النظم التي ظهرت من خلال الدراسات والبحوث الأدبية والشعرية، وأن علماء برنوا من خلال نظمهم للمدائح أبرزوا حبهم الشديد للنبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- وآل بيته الطيبين الطاهرين، كما بينوا أهم الصفات التي اختص بها النبي -صلى الله عليه وسلم- وأن هؤلاء العلماء بينوا أيضاً

• أستاذ مشارك بكلية التربية حنتوب قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - جامعة الجزيرة.
•• أستاذ مشارك بكلية التربية حنتوب قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية - جامعة الجزيرة.

من خلال شعرهم مدى أثر المديح البرناوي في تنمية المجتمع المسلم، وذلك لما فيه من الشيم الأخلاقية القويمة للمجتمع المسلم، فجعل قصائدهم مستمدة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما نلاحظ من شعرهم المصطلحات الصوفية واضحة، وفي المعاني، فلقد أسهم الشعراء البرناويون مساهمة فعالة في قرض الشعر العربي النيجيري بشتى أغراضه المعروفة، وتكمن مساهمتهم في إنتاجاتهم الشعرية التي تناولت أغراضاً عدة– من مدح، ورثاء، ونصح، وإرشاد وزهد، وغير ذلك. فهذا البحث الذي بين أيدينا يحاول تسليط الضوء على واحد من هؤلاء الشعراء البرناويين المعاصرين. يحاول الباحثان أن يظهرا شيئاً من حياة الشاعر الشيخ عبد السلام بن حمدون، ونموذجاً من شعره في المدح، وذلك لرفع الستار عن كنوزه وإنتاجاته وإبرازها إلي حيز الوجود، حتى يسهل للقارئ فهمها. وتتضمن الدراسة قصيدة في المدح، حيث تقوم الدراسة بالعرض والتحليل للقصيدة ومضامينها وألفاظها وتراكيبها والأوجه البلاغية الواردة في النصوص، يوصي الباحثان بالوقوف على جهود هؤلاء العلماء ونشرها للعامة حتى يتثنى للطلاب والدارسين بأن ينتفعوا بها لما بها من أشياء روحية ومعنوية وأدبية تعمل على تزكية النفس، وأيضاً إكثار البحوث في مجال الأدب والشعر العربي عامة وذلك يقود إلى فهم اللغة العربية وتذوقها ومعرفة أسرارها.

Abstract

The praise of the Prophet of the most prominent arts of Arabic poetry, but is one of the forefront and most of the material. The poetry is admired by the qualities of Mamdouh in the number of its virtues, because praise in the pre-Islamic era to gain, but in the Islamic era has become prominent figures in Islam Allen made their contributions to the spread of the Islamic call, the study aimed to identify the praise of the Prophet and the way of organizing, and highlight the most important features The praise of Arab Barnawi poetry, the construction of their reality and the discovery of their poetic skills, and their contributions to the prophetic praise to take advantage of the Arab Barnawi heritage and take the benefits and lessons of what scientists are doing to revive the language of the Koran and show the impact of the love of the Prophet ZA upon him. And the role of Brno scientists in clarifying the impact of praise of the Prophet in the development of Islamic society, the researcher in this study followed the descriptive analytical approach, the study came to the conclusion of the most important results: that the praise of the Prophet is one of the most systems that emerged through studies and literary and poetic research, and that the scientists built During their praise, they showed their great love for the Holy Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him) and his good and pure family. They also highlighted the most important qualities of the Prophet (peace and blessings of Allaah be upon him), and that these scholars also showed through their poetry the impact of praise Barnawi on the development of the Muslim community. From ShemaAkhla The poems are derived from the Holy Quran and Hadith, as we note from their poetry Sufi terminology is clear. In meanings, the Barnawi poets have contributed effectively to the loan of Arab Nigerian poetry in various known purposes, and their contribution lies in their poetry productions that dealt with many purposes - From praise, lament, advice, guidance and asceticism, and so on. This humble essay in our hands tries to shed light on

one of these contemporary Barnawi poets. The researcher tries to show some of the life of the poet Youssef Zakaria Abdullah known as (Qais) and a model of his poetry in pride, in order to lift the curtain on his treasures and productions and bring them into existence, so as to facilitate the reader to understand. The study includes a poem in the pride, where the study presents and analysis of the poem and its contents, words and structures and rhetorical aspects contained in the texts, the researcher recommends to stand on the efforts of these scientists and disseminated to the public so that students and students to benefit from them because of the spiritual, moral and literary things that work to self Increase research in the field of Arabic literature and poetry in general and this leads to understanding the Arabic language and taste and know its secrets..

مقدمـــــــــة

إن الشعر العربي البرناوي لعب دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية وتطورها في منطقة كانم برنوا وذلك لأن بعض العلماء عرفوا غرض الشعر العربي بشتى أغراضه، ولقد أسهم هؤلاء العلماء بجهودهم وأعمالهم الشعرية وتركوا آثاراً عظيمة للأجيال القادمة إن هذا التراث الذي تركوه لهم يحتاج إلى إخراجه إلى ساحة التعليم العامة لكي ينهل منه طلاب العلم والأدب، ومن أشهر علماء ذلك العصر الذين أسهموا في هذا المجال، الشيخ / عبد السلام بن حمدون البرناوي، والذي عاش في الفترة ما بين عام (١٩٠٦م-١٩٩١م) وهاتان قصيدتان تختصان بدراسة تحليلية واسميهما: (جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقته المكثر والمقل)، وقصيدة (هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب).

وقد نظم الباحث هذه الورقة والتي اشتملت على أهم جوانب مساهمة علماء البرنو في الشعر العربي، ولخص ذلك في مبحثين وتناول التعريف بالشاعر الشيخ، ثم بعض قصائده في المدح وتحليلها وبيان الظواهر الأدبية فيها وختم ذلك بأهم النتائج والتوصيات.

أسباب اختيار موضوع البحث:

من دوافع اختياري لهذا الموضوع هو تسليط الضوء على الجهود والأعمال الأدبية التي قام بها الشيخ / عبد السلام بن حمدون في أحد أغراض الشعر البرناوي ألا وهو المديح النبوي الشريف. وإشارة إلى مساهماته وما بذل به من جهد في ذلك.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في إبراز أهم ملامح ومظاهر المدح في الشعر العربي البرناوي لدى واحد من كبار شعراء البرنوا وهو الشيخ عبد السلام بن حمدون.

أهداف البحث:

تسليط الضوء على مؤلفات الشيخ عبد السلام بن حمدون ومدى مساهمتها في الأدب العربي البرناوي وشعر المديح على وجه الخصوص.

منهج البحث:

ولقد اعتمد الباحث على المنهج الوصفي والتحليلي حتى يتمكن من تحليل هذه الدراسة وأخذ المادة من المصادر والمراجع ذات الصلة بالموضوع.

مشكلة البحث:

١- إن لعلماء البرنوا قصائد كثيرة جداً لم تجد حظها في النشر.

٢- لقد تم تدوين الكثير من الأشعار وتم أرشفتها لدى كثير من الطلاب لم يستفاد من طاقاتها وفنونها الأدبية.

٣- أسهم كثير من علماء البرنوا في تأليف وتدوين المؤلفات الشعرية ولكن لم نجدها في الدراسات والبحوث الأدبية الحديثة.

هيكل البحث:

المبحث الأول: **التعريف بالشاعر عبدالسلام بن حمدون ونماذج من قصائده:**

المطلب الأول: نسبه ومولده وشيوخه وآثاره العلمية ووفاته.

المطلب الثاني: شرح وتحليل قصيدته: (جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقته المكثر والمقل).

المطلب الثالث: شرح وتحليل قصيدته: (هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب).

المبحث الثاني: **اللغة الشعرية: (الأسلوب والألفاظ) في القصيدة:**

المطلب الأول: مفهوم اللغة الشعرية.

المطلب الثاني: الأسلوب في القصيدة.

المطلب الثالث: الألفاظ في القصيدة.

المبحث الثالث: **المعاني والخاتمة وصدق العاطفة في القصيدة:**

المطلب الأول: المعاني في القصيدة.

المطلب الثاني: الخاتمة في القصيدة أو: (حسن الانتهاء وصدق العاطفة في القصيدة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بالشاعر الشيخ عبد السلام بن حمدون ونماذج من قصائده

المطلب الأول

نسبه ومولده وسيوخه وآثاره العلمية ووفاته

أولاً: نسبه:

يقول محمد سليمان برايا في نسب الشيخ عبد السلام من جهة والده: "هو الفقيه الجليل العلامة الحافظ العابد الناسك الزاهد المقرئ المجود حسين بن حمدون بن لنتيم بن أمير المؤمنين علي غاجي البرناوي الغسرغموي المرتاوي رحمه الله"(١).

ثانياً: مولده:

ولد الشيخ عبد السلام في حكومة (مَرتى Marte) المحلية بولاية برنو عام ١٣٢٤هـ الموافق لعام ١٩٠٦م، وذلك في عهد الشيخ غربي أي السلطان غربي الكانمي.

ثالثاً: شيوخه:

بدأ دراسته الأولية عند والده، ثم أرسل إلى بعض تلاميذ والده لكي يحفظ القرآن الكريم، واستأنف مع المعلم مصطفى وأخيه الماهر عثمان، بدأ بقراءة القرآن الكريم على عادة أبناء المسلمين في هذه البلاد، وواصل بقراءة القرآن حتى وفقه الله لحفظه وإتقانه قبل سن البلوغ، وقد تعلم عن علماء عدة، ومن مشايخه الشيخ شطيم أحمد المختار، والشيخ شطيم إسماعيل الذي التحق به بعد وفاة شيخه أحمد المختار. ومن علمائه أيضًا الشيخ الحاج بابا الذي

(١) برايا، محمد سليمان: الشيخ عبد السلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي، بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية للحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية – جامعة ميدغري عام ١٩٩٤م ص: ٤٠.

انتقل إليه الشيخ عبد السلام بعد وفاة الشيخ شطيم محمد إسماعيل، ودرس عنده كتاب مختصر الخليل وحفظه على ظهر قلب، فهم مضمونه من المعاني والأحكام حتى شهد له شيخه بذلك، وشهد له بذلك كثير من علماء زمانه[1].

ومن ضمن علمائه المميزين المشهورين فضيلة الشيخ إبراهيم صالح الحسيني الذي اتصل به وجدد عنده الطريقة التجانية واختص بالأخذ عنه دون غيره، رغم فوارق السن بينهما فأعطاه الإذن المطلق وجعله من مقدمي هذه الطريقة بعد أن تلقى التربية الصوفية عنده إلى أن أتاه الله اليقين، رحمه الله رحمة واسعة. وقد تخرج في يده كثير من العلماء الذين لهم الأثر الفعال في المجتمع الذي يعيش فيه[2].

رابعاً: آثاره العلمية:

دوّن الشيخ عبد السلام كتباً عدة منها ما هو موجود وما هو مفقود وما هو مطبوع والآخر مخطوط، وقد اشتملت هذه الكتب على فنون إسلامية ولغوية متعددة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب: جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقته المكثر والمقل، وتحفة المحب والمريد في مدح الشيخ الفريد، وهدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب، في الشيخ مصطفى بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد المعروف بكياري الكانمي، وذكر ما فشا وشاع وظهر من أحوال هذا العصر، وكتاب آخر أيضًا: دامغة الأعداء ومن سل سيف الأعداء، وسلم الارتقاء في التوسل بحضرة النجباء، ومنساة العميان للطالب الصديان، وعطية المنان هدية إلى الصبيان، والسهم المسدد لرشق الناعق المرصد، ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ ألف كتباً كثيرة وبعضها مفقود كما ذكرنا آنفاً.

(١) العربية، مجلة الثقافة العربية – قرية اللغة العربية انغالا نيجيريا العدد ١ عام ٢٠٠٧م ص: ١١٥ .

(٢) العربية، مجلة الثقافة العربية، قرية اللغة العربية انغالا، المرجع السابق، ص: ١١٥.

خامساً: وفاته:

توفي الشيخ رحمه الله تعالى بمدينة ميدغري في ولاية برنو نيجيريا يوم السبت قبيل الغروب، وهو متهيأ لصلاة المغرب عام ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١م ودفن في اليوم التالي في بيته عن عمر يناهز ٨٥ سنة رحمه الله تعالى.

المطلب الثاني

شرح وتحليل قصيدته: (جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقته المكثر والمقل)[١]

تحتوي القصيدة على اثنين وثمانين بيتًا يمدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن البحث يقف على نماذج من أبياته فيما يلي:

بمدح رسول الله يكشف غمنا ... سراج منير شاهد ومبشر

فمدح رسول الله صعب فإنني ... نبي عظيم القدر في كل مشهد

علمت بأني لست أهلاً أن أنشدا ... نذير شفيع الخلق في الحشر ذي اليد

يقول الناظم في مستهل قصيدته، لا تنكشف مصيبتنا إلا بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه هو النبي الذي رفع الله شأنه في كل مشهد. واستمر قائلاً: فمدح رسول الله صعب عليّ لأنني لست أهلاً بأن أنشئ قصيدة في مدحه، وهذا يدل على تواضع الشيخ في هذا المقام، ثم يعدد صفات الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول: فهو سراج منير أي هو مصباح مضيء كل من اهتدى بهديه لا يضّل أبدًا، وشاهد على أفعال أمته يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١]، ببحر طويل مدحتي لك والثنا:

لك المن والفضل الجزيل على الورى

فأصل أصول أنت منقذ في غد

(١) برايا، محمد سليمان: الشيخ عبد السلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي، ، ص: ١٦ .

يقول الشيخ: نظمتُ قصيدتي في مدحك والثناء عليك يا رسول الله على بحر الطويل من بحور العروض الستة عشرة، وسأحاول بقدر استطاعتي أن أمدحك بأحسن قول لأنك أهل له. لك العطاء والشرف العظيم على جميع المخلوقات وآباؤك أشرف الخلق، وسوف تنقذ الأمة من النار يوم القيامة بشفاعتك.

وتقتبس الأنوار نورك والهدى هداك فلا هدي سواء مؤبد

وشرعته كل الشرائع أبطلت وتبقى ليوم العرض واللوم والوعد

يقصد الناظم أن أنوارا تعكس ضوؤها من نوره صلى الله عليه وسلم، لأنه هو أساس النور كله. وأنه الذي يهدي بنوره البرايا، فليس هناك من دعا إلى الهدى مثله من بين الرسل، وليس له منافس في ذلك أبدًا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت نورًا بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشرة ألف عام"[1].

فكم معجزات جازت العد والمدى تشاهدها الأصحاب في موطن الرشد

يقول الناظم في هذا البيت، هناك كثير من المعجزات التي أيد الله بها رسوله لتبليغ رسالته، فقد رآها الصحابة رضوان الله عليهم في مواطن كثيرة[2]:

وشق له البدر المنير بمحفل فمن حاد عن هذا فضف بقمرد

فقد شق رب العرش اسما من اسمه له هو محمود بإسم محمد

وبصقت في صاع ولحم سخيلة ففاضا لهم فيضًا فقالوا قد قد[3]

وهججت في ماء أجاج ومالح فصارت بإذن الله عذبا بلا نفد

(١) النبهاني، يوسف بن إسماعيل (القاضي): حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، ص: ٢١٦ .

(٢) برايا محمد سليمان الشيخ عبدالسلام وإنتاجه الشعر في الأدب العربي ، ص١٧ .

(٣) بصقت: أخرج الرمق من فمه. القاموس المحيط ج٣ ص: ٢١٣. فاض الماء، فيضًا وفيوضًا وفيضانا: كثر حتى سال، وفاض الإناء امتلأ حتى طفح، قد قد، حسبنا.

قال الشيخ في هذه الأبيات السابقة ذاكرًا معجزاته صلى الله عليه وسلم بدأ بحادثة شق القمر، فقال شق القمر للنبي الكريم وهو كان في جماعة من كفار قريش، لأنها من أهم المعجزات، وهناك دلائل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وقال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ • وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ١-٢].

والحديث الشريف، عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية؛ "فأراهم انشقاق القمر مرتين" وعن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى إذ انفلق القمر فلقتين فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "اشهدوا"(١).

وأشار الشيخ في الأبيات التي تليها قائلاً: إن الله سبحانه وتعالى شق اسم محمد صلى الله عليه وسلم من اسمه، محمود الذي هو اسم من أسمائه تعالى، فسماه محمدًا، ومحمد هو المحمود الذي يحمده الخلائق في السماء وفي الأرض ويوم القيامة يحمده أهل الموقف، ويشير أيضًا في البيت بقوله – وبصقت – إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق أي نفث في صاع ولحم شاة، فكثرت حتى أكلها من كان معه وشبعوا وتركوها، وهججت في ماء...

يقول الشيخ في هذا البيت، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفث في ماء مالح فتحول هذا الماء إلى ماء عذب، وما زال الشيخ يعدد معجزات الرسول الكريم إذ يقول في هذا البيت(٢):

(١) رواه مسلم، بن الحجاج: في صحيح مسلم، دار الحديث القاهرة ١٤٣١هـ/٢٠١٠م ص: ٤١٠.
(٢) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعر في الأدب العربي ، ص ١٧ .

ركبت على الفرس البطيء بسيره فصار سريع السير والعدو والبيد

يقول الناظم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب جوادا بطيئ المشي، ولكنه صار سريعًا في ذهابه وإيابه ببركة ركوبه صلى الله عليه وسلم.

ألا يا رسول الله دينك قد علا ودينك مرضي ينصح ومؤكد

يقول الناظم في هذا البيت مخاطبًا النبي الكريم بقوله: نعم يا رسول الله، فإن دينك قد علا كل الأديان، ودينك مرضي به من الله سبحانه وتعالى، ويرضى به أيضًا كل من كانت له تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا.

رسول بكى جذع كراهة نأيـــه وصيره طعما لكل موحـــد

وغرسته في جنة الخلد خالدًا إلى أبد الآباد واها لسيد

يشير الناظم في هذين البيتين إلى حادثة وقعت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكئ على جذع النخل عندما يخطب، وحينما بني له منبرا بجانب الجذع، صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وترك مكان الجذع، فعندما شعر هذا الجذع بهذا خرج منه صوت شديد، حتى سمع صوته كل من كان في المسجد وارتجف المسجد، فلم يسكت حتى أتى الرسول إليه واتكأ عليه، وبفضل الرسول الكريم غرس الجذع في الجنة وصار من مأكولات أهل الجنة يوم القيامة.

عن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع قبل أن يتخذ المنبر، فلما اتخذ المنبر وتحول إليه حن جذع فأتاه واحتضنه فسكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو لم أحتضنه لحن إلى يوم القيامة"[1].

(١) المالكي، محمد علوي (الدكتور): محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان الكامل، دار جوامع الكلم ١٧شارع الشيخ صالح الجعفري، القاهرة ب، ت، ص: ١٦٦.

واستمر الشيخ بحديث عن الحالة الجتماعية السيئة التي وجد النبي صلى الله عليه وسلم العرب عليها[1]:

أتى الناس شتى فابتغى جمع شملهم فألفهم بعد التباغض والحقد
ولما رأوا لله خالص فعله تدعوا إلى الإذعان بعد تباعد
فصاروا بإذن الله إخوان ملة حنيفية دين النبي محمد

هنا يريد الشيخ أن يؤكد الحالة الاجتماعية والبيئية التي وجد النبي الكريم، الناس قائلا: بعث النبي صلى الله عليه وسلم والعرب متفرقون ويقتل بعضهم بعضًا، وليس فيهم حكومة تدير شأنهم وتجمع شملهم بل أشعلت نار الفتن كقطع الليل المظلم، فاستطاع نبي الرحمة أن يجمع شملهم تحت راية الدين الحنيف الإسلام، فصاروا بإذن الله تعالى إخوانا بعد التباغض والحقد والحسد، لما رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حسن السير والسلوك أطاعوه بعد أن حاربوه في أول الأمر، ومما يدل على ذلك أن العرب كانوا يحاربون بعضهم بعضا لسبب العصبية القبلية ولكن عندما جاء الإسلام حاول أن يزيلها من قلوبهم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من دعا إلى العصبية"[2] وقال أيضًا في موضع آخر: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى"[3] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

حمدت إلهي خالقي ومغلبي وملهمني بالفيض في كل مقصد[4]
وصليت من بعد المقاصد للنبي وآل وأصحاب وجند محمد

(١) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعر في الأدب العربي، ص ١٨ .
(٢) آبادي، محمد شمس الحق: عون المعبود، شرح سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م ص: ٢٢ حديث رقم ٥١٢١.
(٣) ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٣م حديث رقم ٢٢٩٧٨ .
(٤) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي ، ص ١٧– ١٨ .

بعد أن مدح الشيخ الرسول صلى الله عليه وسلم حمد ربه وخالقه وغالبه الذي ألهمه قول الشعر في كل موضوع يقصد النظم فيه، ثم صلى على النبي الكريم وعلى آله وأصحابه وجنوده في المعارك مع الكفار.

سألتك اللهم غفـــران ذنبنا وذنب جميع المسلمين ووالدي[1]

وزد لهما يا رب واسع رحمتك كما رحماني ربياني فأخلد

وأخيرًا ختم الشيخ أبياته داعيًا الله سبحانه وتعالى أن يغفر ذنوب جميع المسلمين ووالديه، وأن يرحمهما كما رباه صغيرا، وأن يدخلهما في واسع رحمته.

بمدح رسول الله يجلب فرحنا وفرح جميع المسلمين الموحد[2]

اختتم الشيخ قصيدته بقوله أن مدح الرسول الكريم هو الذي يجلب لنا الفرح والسرور ويدخل السعادة في نفوسنا ونفوس جميع المسلمين الموحدين، وفي آخر القصيدة قال الشيخ:

ناظمه عبد السلام كانرِ البرنوي التجاني الحميري

قال الشيخ في هذا البيت فإن لم تعرف أيها القارئ من نظم هذه الأبيات، فهو الشيخ عبد السلام الذي ينتمي إلى قبيلة كانوري البرناوي وطنًا، التجاني طريقةً الحميري اليمني.

المطلب الثالث

شرح وتحليل قصيدته: (هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب)

يعتبر هذا الكتاب أيضًا من ضمن مؤلفات الشيخ عبد السلام؛ وقد قسم هذا الكتاب إلى قسمين أساسيين، القسم الأول: مدح فيه الشيخ مصطفى

(١) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي، نفس المرجع، ص ١٧ – ١٨ .

(٢) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي، نفس المرجع، ص ١٧ – ١٨ .

عمر الكانمي، والقسم الثاني: مدح الشيخ بكر الثالث المعروف بكياري بن الشيخ عمر بن الشيخ الأمين الكانمي رحمهما الله رحمة واسعة. وفي مطلع القصيدة قائلاً[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صلي على محمد وسلم

قال عبيد ربه الرحمن ... عبد السلام مرتجي الغفران
لقول خالقي الورى لا تقنطوا ... من رحمتي ومن نئا قد شططوا
حمدًا لمن من لنا بالمصطفى ... وهو أمير الأمراء الشرفَا
لكونه أزمة للإسلام ... في يده عند ذوو الأحلام
ووارث المجد من الأجداد ... ومن آبائه بلا أضداد
نجل الملوك والشيوخ الصلحا ... عن فعله الخيرات ما قد برحا
معطي الرغائب لأهل الخير ... سليم قلب راغب عن ضير
نجل المعظم الذي قد خافت ... من بأسه ملوك أرضي بعدت
نجل الولي ابن الولي الطغات ... لطردهم والسوق للفلات
وصاروا مثل الجعل في استتار ... والذل والهوان وانكسارَ
ولا تصفهم صفة النفاق ... بل وصفهم بالخبث باتفاق

ثم واصل الشاعر يعدد صفات الممدوح قائلاً[2]:

ولا التفات لي لغيره ولا ... أكون دونه وذا حال حسن
تحمل الأذى من السفهاء ... ديدنه ورحمة الضعفاء
ابن أبيه مشبه أبيه ... وارث كل المجد من ذويه
قد اقتدى أباه في السخاء ... والحلم والصبر وفي الأعضاء
وهو في الجواد كغيث وابل ... وفي وفاء العهد كسمو أل
أيا أمير ابن الأمير كنت ... حصنًا حصينًا واقيا نجيت
وكم أخى من علماء قد مدحوا ... ملوك عصرهم لشكر أوضحوا
حتى يصير تاريخًا صيحًا ... وباقيًا إلى الدهور جانحًا
فشيخنا هذا كبير الأمرا ... ما بين البحرين فخذ بلا مرا
يعرف هذا من يكون عارفًا ... بنفسه وعكسه لن يغرفا
لا تنجبوا الأقوال فهو حق ... ومنكر لذاك فهو أحمق

(١) برايا محمد سليمان ، الشخ عبدالسلام وإنتاجه الشعر في الأدب العربي ، ص: ٨–٩.
(٢) الشيخ عبدالسلام بن حمدون – هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب في مدح الشيخ مصطفي الكانمي ، حقق الطبع محفوظة ، ص ٢ – ٤ .

وفي الختام يقول الشيخ[1]:

مدحت الشيخ مصطفى لا أبالي ... بمكر ماكر ومقت قالي
وطعن طاعن وجحد جاحد ... ولوم كل لائم وحاسد
وهمز هماز ومشي ماش ... ولمز كل لامز وواش
فالمر ليس يخلو عن أضداد ... لو كان عاذلاً في كالأطواد

استهل الشاعر قصيدته بتقديم شخصيته في اسمه بأنه عبد الله عبد السلام الراجي رحمة ربه وغفرانه وذلك في البيتين الأوليين.

بعد أن قدم الشاعر نفسه في البيت الأول مشيرًا إلى أنه مرتجي الغفران، وفي البيت الثالث حمد الله سبحانه وتعالى الذي منّ عليهم بالممدوح وهو الشيخ مصطفى عمر، شيخ برنو الراحل إلى رحمة الله تعالى، وأشار أنه رئيس أمراء ولاية برنو، وكلهم طائعون وممتثلون لأوامره، أن النصر بيده عند أصحاب العقل، لأنه حامل لواء الإسلام في برنو ورث هذا المجد والكرم عن آبائه وأجداده الكرام.

وأشار أيضًا في البيت السادس والسابع إلى أن ممدوحه ابن الملوك ومن شيخ برنو المميزين الصالحين وما زالوا يقومون بأعمال الخير كما كان يفعل آباؤه وأجداده، وكان من شمائله العظيمة أن لا يرد السائل إن أتى إليه، وهذا يدل على كرمه، وكان معروفا أنه بعيدٌ عن الظلم.

وفي البيت الثامن إلى الحادي عشر يقول الشاعر: وفي تعريف شخصية ممدوحه للقارئ العزيز بأنه ابن الكريم صاحب الجود والكرم، هو الشيخ محمد الأمين الملقب بكياري، ابن الشيخ بكر بن الشيخ عمر الذي خاف من شجاعته وبطشه الملوك الذين أتوا من أقصى البلاد لمحاربته وهو من سلالة الشيخ عمر بن الشيخ محمد الأمين الكانمي، الذي أنقذ أهل برنو من الحرب التي نشبت

(١) المرجع نفسه، ص ٢-٥.

بينه وبين ملوك الأراضي المجاورة، وانهزموا أمامه وولوا إلى الصحراء.

وفي البيت الثاني عشر يشير إلى أن هؤلاء الملوك الذين جاءوا من أراضيهم لقتال أهل برنو، لا تصفهم بالنفاق لأن عملهم هذا فاق ما يبلغ إلى حد النفاق، بل هو من الخبائث باتفاق علماء الدين.

وفي البيت الخامس عشر والسادس عشر، يقول الشيخ هو يتحمل السفهاء ويشفق على الضعفاء وهذه طبيعته، واستمر قائلاً لا تتعجبوا من فعله هذا لأنه ورثها من آبائه وأجداده، وكل من اقتدى وتخلق بأخلاق أبيه، فأمه قد أنجبت ما يحب ويرضاه الأب.

وفي البيت الثامن عشر إلى الرابع والعشرين، يقول الشاعر أن ممدوحه في الجود كالمطر الغزير الذي ينزل بدون توقف أو انقطاع ليسقي أهل الأرض، وفي الوفاء بالعهد فهو كالسموءل، واستمر الناظم في مخاطبة ممدوحه قائلاً: أيها الأمير كنت كالحصن الذي ينجي ويقي النجاة إليه.

يقول الشاعر هناك كثير من العلماء الذين مدحوا الملوك المعاصرين لهم، وبينوا شكرهم وأعمالهم، حتى يصير هذا تاريخًا مسجلاً معتمدًا عليه، واستمر قائلاً: إن هذا الشيخ هو كبير الأمراء بين البحرين، فخذ كلامي بدون تردد، وهو أمر متفق عليه أيها القارئ، ويعرف هذا كل عاقل ولكن ينكر هذا من لا يعرف نفسه، أي الشخص الغبي، فلذلك لا تتعجبوا من هذه الأقوال فهي حق، ومنكرها لا يوصف إلا بالحماقة والبلادة.

وفي الأبيات الأخيرة، يقول الشاعر أنه قد مدح الشيخ مصطفى عمر الكانمي ولا يبالي من ينكره أو من يغضب عليه أو يطعن فيه أو يجدد مدحه ويلومه أو يحسده، كما أنه لا يبالي بهمز هماز، أو مشاء بنميم، قال تعالى:

﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ • هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ﴾ [القلم: ١٠-١١]، لأنه عرف أن الإنسان لا يمكن أن يتخلص من الأعداء مهما حاول أن يفعل ذلك، حتى ولو اعتزل الناس وعاش بعيدًا عنهم.

ومن القصيدة التي مدح بها الشيخ بكر الثالث بكياري بن الشيخ عمر بن الشيخ محمد الأمين الكانمي[1]:

وهو الذي حركته تزلزل	ملوك أقطار لحوف يحصلُ
وكم له ممن يكون طاعنا	بالرمح والحربَ وسَهم إذ دنا
وكم رجال سللوا بتارا	لضرب عنق مَن عُد اختارا
وكم رجال يحملون بندقا	لحرق بيت يكون مارقا
وكم من الغلمان أي لم يبلغوا	إلى احتلام حربهم مسوغ
ويوقعون نفسهم من التهلكة	ولا يبالون بسهم مهلكة
ويؤثرون الموت والمنونا	إذا رأوا الحرب العدونا

يقول الشيخ في مدح الشيخ بكر بن عمر الكانمي، هو الذي إذا تحرك للقتال لا استقرار لملوك الأقطار والأقاليم من الأعداء،وحركته هذه تجعل في قلوبهم الخوف، وهذا يدل على شجاعته، لأنه إذا شنّ الحرب على العدو ترى أكثر أعدائه، إما مصابون بالرمح أو بسهم.

وبمجرد أن يخوض ميدان القتال، ترى من الأعداء يتسللون ويتركون ساحة القتال رغم أنفسهم خوفًا من ضرب أعناقهم، ومن جانب جنوده أيضًا، ترى كثيرًا منهم يحملون البنادق ويطلقونها على الأعداء ويحرقون بيوتهم لخروجهم عن الطاعة بعد انتصارهم عليهم، وحتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم، ترى بأسهم شديد في ميدان القتال، يعرضون أنفسهم إلى التهلكة ولا يبالون بما يصيبهم من ضرب الأعداء لأنهم يفضلون الموت على الحياة دفاعًا عن النفس والوطن.

(١) الشيخ عبدالسلام بن حمدون ، هدية الأحباب مخطوط ، ص ٥.

واستمر قائلاً[1]:

وكم من الأعلاج يغضبون[2] من زبة الحديد يضربون
وكم خيول عاديات ضابحات[3] وسائرات موريات قادمات
ومغريات للعدو صبحاً[4] أثرن فيه النقع حتى الصبحا
كظلمة الليل البهيم الحالك ثم أتى به انتصار المالك

يشير الشيخ إلى شجاعة ممدوحه واتباعه في ساحة القتال قائلاً: إنك ترى كثيرًا من الأبطال يحملون الأسلحة لمقاتلة العدو ويضربونهم إذا تمكنوا منهم، واستمر الشاعر مشيرًا إلى شجاعتهم بأنهم عندما تكون الحرب ترى خيولهم تهاجم معسكر العدو كرة بعد كرة، أحيانا، تهاجم الأعداء صباحًا قبل أذان الفجر ولا يسمع الصوت الذي يصدر عنهم، وتارة أخرى تغير على العدو في أول الصباح، تثير الغبار حتى يصير المكان مظلمًا كالليل، ولا يزالون يقاتلونهم إلى أن ينصرهم الله تعالى.

وكم جمال يعملان ذُبل يحملن كل شَمَّري باسل[5]
شاكي السّلاح بطل مجرب روح العدو طالب ومذهب
ترى رجالاً طائعين أمرهم عند الوغى وغيرها ذي وأبهم
وهو إذا مشى في كالموات[6] بدأ دروب فسع لات
وكم كمي صار مثل قمة مثل بأسه بعد بلوغ قمة

يشير الشاعر من خلال هذه الأبيات إلى شجاعة ممدوحه وبأسه أيضًا، بأنهم مطاعون سواء كانوا في حالة الحرب أو السلم، وكان ممدوحه ينتصر بعد الاشتباك العنيف مع الأعداء، ومن شدته وبأسه ترى كثيراً من الكمى أي الشجعان الذين يتجسسون أخبار الأعداء لمعرفة مدى قوتهم وأخبارهم.

(١) الشيخ عبدالسلام بن حمدون ، هدية الأحباب مخطوط، المرجع السابق ، ص ٥-٦.
(٢) الأعلاج: جمع علج؛ وهو الجمل الضخم من الكفار، زبة الحديد: أي السلاح.
(٣) ضابحات: الخيل أول الإبل مدت أرجلها في السير.
(٤) صبحًا: الصبح. النقع: الغبار.
(٥) الشيخ عبدالسلام ، هدية الأحباب، ص ٦.
(٦) كالموات: الكاف زائدة للضرورة .

سلاطين الأقطار صاروا تبعا لخوفهم من بأسه فلتسمعا [1]

كزندر ومندري وكذا الفكـــة غوغلم وغيرها من ذالكـــة

يذكر الشاعر أسماء البلاد التي دانت وخضعت لممدوحه لشدة بأسه وشجاعته وهي (زندر Zander) وكذلك أرض (مَندَرى Mandara) وسلطان (فيكة Fika) و(غوغلم Gogulum) وغيرها. فقد استطاع الشيخ أن يخضعهم وينتصر عليهم في الحروب التي نشبت بينهم.

قد نجز المدح وبعد فالدعا أجب له يا رب كل مادحا [2]

في رأس عامين من قرن خامس من بعد ألف تاريخ المؤسس

يقول الشاعر في هذين البيتين، إنني قد أجزت مدح الشيخ ولم أتناول نواحي المدح بما يستحق تناوله، وسأختم أرجوزتي بالدعاء أرجو من الله القدير أن يستجيب دعاءنا، قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ثم ذكر تاريخ تأليف هذه القصيدة وهي عام ١٤٠٢هـ الموافق سنة ١٩٨٢م. واستمر قائلاً في هذه الأبيات[3]:

وأسأل الإله أن يطول أعماره حتى يتمّ أجلا

يغير ما حَور ولا انتقاص بل بزيادة وباختصاص

ويجعل الإلهُ من عاداه مشدودة مغلولة يداه

وأن يكون الملك في الأعقاب دأبا ليوم الحشر والمآب

وعِصْمُهُ يا رب من الشرور كعصمة الأصل مع الحبور

وبعد ذا أختمن بالسعادة لكي ينال ثمرة الشهادة

واغفر لكل مؤمن ومسلم من أمة النبي خير الأمم

من حُرّ أو عبد كبير او صغير وذكروا مراة هيا نصير

يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا يا ربنا استجب لنا

وختم الناظم منظومته بالدعاء لممدوحه وأسرتهما قائلا: أسأل الله سبحانه وتعالى أن يبقيه على عرش الملك إلى أن يأتيه اليقين، وأن يجعل حياته

(١) الشيخ عبدالسلام ، هدية الأحباب، ص ٦.

(٢) الشيخ عبدالسلام، هدية الأحباب، المرجع السابق، ص ٨.

(٣) برايا حمد سليمان عبدالسلام إنتاجه الشعري في الأدب العربي، ص ٩.

حياة سعيدة وممتعة بزيادة الأرزاق بدون انقطاع النعمة أو نقصا، ثم دعا الله القدير أن يجعل أعداء هذه الأسرة هم الأسفلون تحت الذل والإهانة الأبدية، وأن يجعل هذا الملك متسلسلاً في أسرتهم إلى يوم البعث، وأن يعصمهم الله تعالى من كل من يرميهم بالشر كما عصم آباءهم وأجدادهم، ثم اختتم بأن يجعل الله تعالى السعادة والسرور فيهم لكي ينالوا كلمة شهادة عند خروج أرواحهم.

ثم دعا الناظم إلى جميع المسلمين قائلاً: واغفر يا رب للعالمين ولكل مؤمن ومؤمنة ومسلمة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، سواء كان من حرهم وعبيدهم وصغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم يا ربنا استجب دعاءنا.

أخيرًا يذكر الشاعر عنوان كتابه قائلاً:

سميتها هدية الأحباب ... واصلة إلى ذوي الألباب
في مدح الشيخ الكريم ... ونفذه[1] في جده الفخيم
ونختم الأمداح بالصلاة ... مقتفيًا قصائد الثقاب
على النبي صاحب الصلاة ... وآله والأنجم الهدات
من صحبه وجنده وتبع ... وتابع لهم وكل داع

يقول الشاعر بعد الدعاء لممدوحه وأسرتهما، وإنني سميت هذه المنظومة بهدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب في مدح الشيخ الكريم وبعده في جده العظيم، ثم ختم منظومته بالصلاة على النبي الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اقتداء بقصائد أسلافه حين يبدؤوا قصائدهم بالثناء على الله تعالى ويختتمونها بالصلاة على النبي وآله وخلفائه الراشدين أصحاب الهداة إلى الصراط المستقيم.

(١) نفذه: إمضاء الشيء إبرامه، أو مضى على حاله.

كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"(١) ثم صلى على بقية أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وجنوده الذين فتحوا أمصارًا كثيرة لإعلاء كلمة الله وعلى أتباعهم وتابعيهم وعلى كل من يدعو إلى صراط الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

المبحث الثاني

اللغة الشعرية: (الأسلوب، الألفاظ) في القصيدة

تمهيد:

يتناول الباحثان في هذا المبحث استهلال وربط الخصائص الفنية من حيث الشكل، ومن أهم القضايا التي ترتكز عليها الدراسة هي:

المطلب الأول

مفهوم اللغة الشعرية

لغة الشعر كوسيلة للتعبير عن العواطف والمشاعر والوجدان من غموض وإبهام: فهذه الظاهرة هي الأسلوب الذي يدفع الشعراء إلى البحث عما هو أصلح وأنسب من الكلمات والألفاظ للتعبير عن الأفكار والمعاني الوجدانية. ولعل هذا هوالسبب الذي دعا النقاد إلى القول بأنه: "ليست كل كلمة تستعمل في النثر، تصلح في الشعر، وإنما للشعر لغة خاصة مختلفة عن لغة النثر"(٢).

(١) زينو، محمد جميل: مختصر القصيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة، مطبعة مراقبة الكتب والمطبوعات – مكة المكرمة ص: ٣٧ .

(٢) الجندي، علي: الشعراء وإنشاء الشعر، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٩م ص: ١٥٦ .

وبناء على هذا، وضعوا أهم مميزات لغة الشعر، فمن هذه المميزات تجانس اللفظ والمعنى، وهو أن تتفق الألفاظ مع المعاني من حيث القوة والجزالة والسهولة وفقًا لموضوع القصيدة. فإذا كان موضوع القصيدة الحماسة مثلا يجب أن تكون الألفاظ قوية معبرة شديدة الأثر، وإذا كانت القصيدة في الغزل فيجب أن تتصف ألفاظها بالرقة والسهولة واللين، وهكذا يُقال في لغة المدح والرثاء والفخر[1].

فالقارئ لقصيدة الشيخ عبد السلام التي مدح فيها ملوك برنو، يجد ألفاظها قوية جزلة خصوصاً في المواضع التي تحتاج الشدة والفخامة كما وصف أحوال ممدوحه وجنوده في ساحة المعركة[2]:

وهو الذي حركته تزلزل	ملوك أقطار لخوف يحصل
وكم له ممن يكون طاعنا	بالرمح والحرب وسهم إذ دنا
وكم رجال يحملون بندقا	لحرق بيت يكون مارقا
ويوقعون نفسهم في التهلكة	ولا يبالون بسهم مهلكة

فنرى الشاعر في هذا المقطع قد استخدم الألفاظ التي تتصف بالقوة والحماسة في أثناء الحرب مثل: تزلزل، والخوف والطعن. ويذكر أيضًاأسماء السلاح مثل الرمح والسهم والبندق والتهلكة... أي يظهر لنا نوعًا من الشجاعة والجرأة.

ونراه أيضًا، يلجأ إلى استخدام الألفاظ والتعابير التي تتسم بالسهولة والرقة واللين كما في قوله في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم[3]:

بمدح رسول الله يكشف غمنا	نبي عظيم القدر في كل مشهد
سراج منير شاهد ومبشر	نذير شفيع الخلق في الحشر اللَّد
وتقتبس الأنوار نورك والهدى	هداك فلا هدي سواء مؤبد

(١) الجندي، علي: الشعراء وإنشاء الشعر، المرجع نفسه، ص: ١٥٦.
(٢) الشيخ عبدالسلام ، هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب مخطوط ، ص ٥.
(٣) برايا حمد سليمان ، الشيخ عبدالسلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي ، ص ١٦.

وذلك نظرًا لطبيعة الموضوع هو تصوير الشوق نحو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بما فيه من حاجة إلى استخدام ألفاظ لينة وجميلة وسهلة للتعبير عن العاطفة. فاللجوء إلى مثل هذه الألفاظ والتعابير يليق بهذه المناسبة، مثل الكلمات: "يكشف غمنا، نبي عظيم القدر، سراج منير، شفيع الخلق، وتقتبس الأنوار.

المطلب الثاني

الأسلـــــــوب

هو جمع أساليب، هو نهج خاص في الكتابة والتعبير عن الأفكار؛ والأسلوب بوجه عام هو طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه. وفي تعريف آخر هي تلك الألفاظ التي يتخذها الأديب أو الشاعر جسرًا لإيصال أفكاره إلى السامعين، ومن هنا يتفاوت الأدباء والكتاب والشعراء في التأثير على السامعين.

هكذا إذا تتبعنا القصائد مرارًا نجدها تتسم بأسلوب أدبي وهو الأسلوب الجميل، ذو خيال رائع وتصوير دقيق. كان للشعر البرناوي أسلوبان في مطلع القصيدة[1]:

الأسلوب الأول:

هو محاكاة شعراء الجاهلية من حيث افتتاح القصيدة؛ فبعضهم يبدأ بالغزل قبل الدخول في صلب الموضوع، كما افتتح الشيخ غبريم الداغري في قصيدته:

عجباً لقلب لا تزال همومه ... تَنْمُو وترسخُ في الضلال نجومه
من شوق ليلى والرباب وزينب ... وسَعاد والصاحي يطيب نعيمه

(١) أبوبكر، محمد مي: ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد للشيخ التالكي، ص: ٥٤.

كما قال امرؤ القيس في مستهل قصيدته في معلقته[1]:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

الأسلوب الثاني:

فينظر فيه أثر تعاليم الإسلام في نظم القصيدة حيث الشاعر يستهل القصيدة بالبسملة والحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض القصائد يستهلون بلفظ أما بعد؛ كما جاء في قصيدة الشيخ عبد السلام إذ يقول في مطلع القصيدة[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد وسلم
فاعبيد ربه الرحمن عبد السلام مرتجي الغفران

والواقف على أشعار المديح البرناوي في هذا القرن يجد أنها فازت بحسن المطالع وجودته في معظم القصائد التي وضعنا أيدينا عليها. يقول الشيخ أحمد أبو الفتح في قصيدته ترياق الأنفاس في مدح خير الناس التي مطلعها[3]:

لقد جاء خير الناس بالنور والهدى رسول من الله الكريم به هدى

ويقول الشيخ محمد غبريم الداغري في قصيدته التسليمية المديحية للرسول صلى الله عليه وسلم بعنوان: "إنهاء السلام إلى الإمام" ومطلعها[4]:

إلى خير خلق الله أنهي سلامي سلامًا بند كب لم يسام

أنه من الأهمية بمكان أن يعتني الشاعر بمطلع القصيدة ويبذل غاية الجهود لإتقانه وإجادته، لأن حسن الابتداء أول ما يقرع أذن السامع أو

(١) الروبي الحسين بن أحمد بن الحسين (الامام الاديب) شرح المعلقات السبع، دار الطلائع للنشر والتوزيع، مدينة نصر القاهرة٢٠٠٥م، ص٦.
(٢) تقع القصيدة في ١١٦ بيتا من بحر الطويل وهي مخطوطة.
(٣) الشيخ عبدالسلام ، هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب مخطوط ، ص١.
(٤) كب: الحب أو الشوق.

القارئ فينشرح له صدره وتهتز له نفسه ولاسيما إذا كان الافتتاح مصورًا لجو القصيدة. ففي حسن المطلع يقول حسان بن ثابت في داليته:

بطيبة رسم للرسول ومعهد — منير وقد تقفو الرسول وتمهد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة — بها منبر الهادي الذي كان يصعد

فهذا المطلع يلقي في روحنا من أول وهلة أن القصيدة أنشأت في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ومع أنها من ضمن مرثيات حسان إلا أن المراثي بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تعتبر مدحًا.

ويقول الشيخ أبو الفتح في افتتاح قصيدته التوسلية بسيد الأنبياء وبخلفائه الأصفياء إذ دخل في الموضوع مباشرة وتوسل بهم على حسب المنزلة والمرتبة[1]:

يا ربنا بسيدي المختار — ونوره وفيضه المدرار
وهب لنا العلوم والمعارف — واعط لنا المرام والعوارف
وافتح قلوبنا بخير جمة — واملأ فؤادنا بنور الأمة

وهذا الأديب البرناوي أيضًا – رحمه الله – الشيخ أبوبكر المسكين افتتح قصيدته "دعاء الأحباب" في مدح لسان الفيضة سيدي علي سيس والقصيدة من بحر الطويل إذ يقول في مطلع القصيدة[2]:

أقم واستقم وأوي إلى الباب والتزم — بتقبيل أعتاب العلى والمكارم
وحم حول باب العبد للذات ترتضي — فتبقى خليفًا بالحقائق قائم
لج الباب قل يا أيها الباب إننا — لمنك أتينا خذ إليك زمامي

وهذا الشيخ إبراهيم صالح الحسيني في قصيدة مدحية ترحيبية، يرحب بها الشيخ علي سيس، وقد أنشأ القصيدة في تاريخ ١ / ٧ / ١٩٦٩م، وهو يمدحه عند زيارته لبرنو في مدينة ميدغري، فأتى في مطلع قصيدته بمقدمة غزلية رائعة، فلم يكن هو فقط الذي يرحب بهذا الشيخ الكريم أي الذي

(١) عبدالرحمن إدريس ، فن المديح في شعر إبراهيم صالح ، ص ٣٤.
(٢) زكي مبارك (الدكتور) المدائح النبوية في الآداب العربية ، طبع بمطابع المصطفي البابي الحلبي وأولاده ١٩٣٥م.

يشتاق إليه الجميع بدون فرز قائلاً في مستهل القصيدة:

الدوح يرقص والسماء تمايلت فرحًا بمقدم ذي العلا والسؤدد

ثم استخلص إلى ذكر من هو ممدوحه الذي أنشأ القصيدة من أجله فقال[1]:

شيخ المشايخ كعبة الزوار من قد ناب عن غوث الزمان الأوحد

ثم واصل قائلاً[2]:

فرحًا بمقدمك المبارك رتلت معنى الجبال تحية القلب السدي

يذكر الشاعر لهذا الممدوح بعض الكلمات الصوفية مثل، ذي العلاء السؤدد، شيخ المشايخ، كعبة الزوار، تحية القلب السدي.

المطلب الثالث

الألفاظ في القصيدة

اللفظ لغة: لفظ- يلفظ لفظًا، "فعل" لفظ بالكلام أي نطق به وتكلم، واللفظ في الشعر كالجسد عند الإنسان نظيف الجسد خالطه الناس. وأما إذا كان رديء الثوب هجره الناس وكذلك الشعر إن كانت الألفاظ جميلة وسهلة باشره الناس بالإقبال. أما إذا كانت الألفاظ غريبة فرّ عنه الناس[3].

ومعظم الألفاظ التي استعملها علماء برنو في إنشاء الشعر الصوفي مستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف كما نجد في شعرهم ألفاظ صوفية كثيرة مثل العارف، المحقق، الغوث، خاتم الولاية، الفيضة، الواصل، وغيرها من الاصطلاحات الصوفية، ثم سنعرض بعض أبيات شعرية لهؤلاء الشعراء، ومثال في قول الشيخ أبو الفتح رحمه الله كيف استعمل بعض

(١) عبدالرحمن إدريس، فن المدح في الشعر العربي، الشيخ إبراهيم صالح، ٣٤ .
(٢) عبدالرحمن إدريس، فن المدح في الشعر العربي، الشيخ إبراهيم صالح، المرجع السابق نفسه ، ص ٣٤.
(٣) نتائس، مجلة أكاد يمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، الجزء السادس، سبتمبر ٢٠٠١م ص: ٨١.

مفردات الصوفية في أشعاره[1]:

عين الولاية مرآة النبوات كنز الحقائق فيض الله مدرار
ختم الولاية أبو العباس سيدنا ظل النبوة سراج الكون أنوار

ثم واصل بقوله[2]:

ركبنا جياد الشوق والحب سائق إلى باب خير الخلق أكرم أرفد
أتيناك مختار الخليقة أحمد أتيناك من برنو بشوق نحفد

إلى أن قال[3]:

ظريف رزين بالمكارم مرتد وقورٌ حكيم بالمواهب منجد
عليم حكيم ناصر الحق دائمًا جوادٌ كريم للأرامل مُزْيدُ
أيا سيدي هادي الأنام محمد وفاتح مغلوق القلوب مصلّد

إذا سلطنا الضوء في هذه الأبيات جل الكلمات الواردة في القصيدة ألفاظ إسلامية مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

وهذا الشيخ محمد غبريم الداغري البرناوي يذكر بعض الألفاظ الصوفية والإسلامية في قصيدته التي مدح فيه سيد الوجود وذكر فيها شوقه إذ يقول[4]:

صلى عليه الله ما بدر بَدَرا وتلته شمس في البدا ونجومه
أم كيف يغرث باله جهلاً لما شرح الإله ومنهم تعليمه

واستمر قائلاً[5]:

شمس على ذلك الكمال مضيئة بدر على فلك العلى ديمومه
خير على علم الإله معلم فاللوحُ ينفدُ ما نفاه نهيمهُ
بل روح الكون بل هو عينه إنسانها هو حية قيومهُ

وقد أشار الشاعر في هذه الأبيات ألفاظ دينية جميلة لممدوحه ومزود بكل المعلومات الإلهية، التي علمه علمه إياه كأنه يتكلم على لسان اللوح

(١) نتائس، مجلة أكاد يمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، المرجع نفسه ، ص٣٤.
(٢) نتائس، مجلة أكاد يمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، المرجع السابق ، ص ٣٤.
(٣) عبد الرحمن إدريس، فن المدح في الشعر العربي، الشيخ إبراهيم صالح، ٣٢.
(٤) عبد الرحمن إدريس، فن المدح في الشعر العربي، الشيخ إبراهيم صالح، المرجع نفسه، ص: ٣٢.
(٥) عبد الرحمن إدريس ، فن المدح في الشعر العربي ، الشيخ إبراهيم صالح، المرجع نفسه، ص: ٣٢.

المحفوظ، وكذلك أشار إلى الألفاظ ردعية للقارئ العزيز.

وهذا الشيخ عثمان بن فوديو يذكر في قصائده بعض الألفاظ الصوفية إذ يقول[1]:

جميل جليل بالجمال متوج ... جزيل العطايا بابه ليس يرتج
جواد كريم فهو للخير منهج ... جبين له الآفائق بالنور تبهج
حبيب له نور بيثرب لائح ... حميد مجيد باسط الكف ناصح
حليم له عند الجميع مدائح ... حفيظ له للعالمين نصائح[2]

واستمر قائلاً[3]:

رسول أمين الله لله شاكر ... رحيم حليم للمساجد عامر
رؤوف شكور للصلاح مباكر ... رفيع مكين للرسالة آخر
زكي حكيم للبرية معجز ... زعيم شفيع الناس بالقرب فائز
زمان حبيب الله للسعد حائز ... زمام العلى بيديه ليس يبارز

ومن خلال هذه الأبيات الواردة وصف حبيب الله بأوصاف عطرة مثل: الجود والكرم والرفعة والحكمة والفصاحة والهداية وعلو القدر عند الله، واللين والعلم والمعرفة والطهارة والقرب إلى الله تعالى والحسن والصدق والعفو، وغير ذلك من الألفاظ الصوفية التي لم تجتمع لبشر مثله قط.

وهذا الشيخ محمد الناصر كبر القادري من أصحاب الطرق الصوفية سيعرض بعض الألفاظ الصوفية في بعض أبياته الشعرية إذ يقول[4]:

ماذا أقول بمدح من رب الورى ... أثنى عليه بأعظم الأخلاق
قل ما تشا في مدحه من بعد أن ... وصّفته بعبودة الخلاق
قل عبدهُ وخليله وحبيبهُ ... وصفيه هو فاتح الأغلاق
هو سيد الرسل الكرام وخيرهم ... هو أصل كل الخلق بالإطلاق
هو قبضة النور الإلهي الذي ... مِن قبل آدم قاسم الأرزاق

(١) المرجع نفسه والصفحة.
(٢) غلاونتي، شيخو أحمد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، ص١٥٠– ١٥١.
(٣) كبر، شيخ عثمان (الدكتور): الشعر الصوفي في نيجيريا، النهار للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٤م ص: ٢٥٦–٢٥٧.
(٤) غلادنثي، المرجع السابق ص: ١٥٠–١٥١.

وهكذا يقف علماء الطرق الصوفية في معظم القصائد، فيتكلمون بألفاظ صوفية عن خصال النبي صلى الله عليه وسلم وشمائله، ويصفونه ما قد كرمه الله تعالى من الكرامات والمعجزات.

المبحث الثالث

المعاني والخاتمة وصدق العاطفة في القصيدة

المطلب الأول

المعاني في القصيدة

المعاني في الشعر كالروح في الجسد؛ فالروح هو قوام الجسم ولكنها لا توجد إلا حيث يوجد الجسم، وكذلك المعنى في الشعر، وكل من عمق النظر في أشعار علمائنا في برنو يجد معانيها إسلامية لخلوها من الخلاعة والمجون أو الغلو في المدح للتكسب. وكانوا يمدحون بكثرة العلم والتقوى والمجاهدة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من الصفات الإسلامية[1].

وفي هذا الإطار، يصور لنا الشاعر صفات الرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الأبيات[2]:

وما هو إلا البحر والعلم موجهُ ... وقلبي غريق بالمحبة حافظُ
حبيب إله العرش حامي ذمامه ... وأذكره دومًا بالمدح مقرظُ
كريم كريم الأصل والنسب طاهرُ ... وجيه بهي أدعج العين لاحظ

إلى أن قال[3]:

محمد عبد الله مختار خلقه ... وأخلاقه حقًا كتاب يحافظ
كتاب إله الخلق حادي مراده ... وما هي إلا الأمر والنهي موعظُ

(١) نتائس، مجلة أكاد يمية سنوية من منظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية ، العدد السادس ص: ١٣١.

(٢) كبر عثمان الشيخ ،ا(الدكتور) الشعر الصوفي في نيجيريا ، النهار للطباعة والنشر والتوزيع شارع الجمهورية عابدين(بدون تاريخ) ص ٢٥٨ .

(٣) كبر عثمان الشيخ ،ا(الدكتور) الشعر الصوفي في نيجيريا، المرجع نفسه، ص: ص ٢٥٨.

وأما في الرثاء؛ فإن معانيها حول إظهار الحزن وشدة الحب للمفقود، ثم تعظيم المصيبة وذكر أوصافه الحميدة والدعاء بالغفران كما جاء في قصيدة الشيخ إبراهيم صالح، يرثي ابن عمه محمد البشير قائلاً في بعض الأبيات[1]:

بكيتك يا نجل البشير أيا سهل ... فإن حياتي بعد فقدك لا تحلُ
فقدتك لا أني سلوتك بل ولا ... جفوتك إلا أن عقلي به خبلُ

وقد استمر الشاعر يصف فقيده في قصيدته بالصفات المحمودة في المجتمع وصفه بالعلم والتقوى والجود والأخلاق الحسنة، ونجد ذلك في الأبيات الآتية حيث يقول[2]:

كريم السجايا صاحب العلم والتقى ... أبو الجود والأخلاق من لا له مثلُ
هو البحر في علم وحسن طبائع ... فسبحان من أحكامه كلها عدلُ
وكنت إمامًا في الحقيقة داعيًا ... إلى الله في بحر جواهره تعلو

المطلب الثاني

الخاتمة القصيدة أو (حسن الإنتهاء)

إذا كان مطلع القصيدة مفتاح الشعر ومدخله، كان من الأحسن أن تكون الخاتمة قفله، لأنها اللبنة الأخيرة التي يضعها الشاعر في بناء القصيدة. فينبغي للشاعر أن يحسنها ويجودها، لأنها الخاتمة أوقع في السمع فإن حسنت حسن الكلام وإن قبحت قبح الكلام![3]

وقد أشار النقاد إلى أحكامها وتجويد الصياغة فيها لكونها قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاستماع، فلا يستحسن الزيادة عليها كما لا يستحسن أن يأتي الشاعر بعدها بأحسن منها. ويذكر ابن رشيق أن "المهرة من

(١) كبر عثمان الشيخ ،ا(الدكتور) الشعر الصوفي في نيجيريا، المرجع نفسه، ص: ص ٢٥٨.
(٢) الياس إبراهيم عمر، شعر الشيخ إبراهيم صالح، دراسة لنماذج في فن المديح، ص ٣٠.
(٣) القيرواني، الحسن بن علي الأزدي (ابن رشيق): العمدة، الطبعة الخامسة، دار الجيل بيروت لبنان ١٩٨١م ص: ٢١٧.

الشعراء قد كرهوا ختم القصيدة بالدعاء لأن ذلك عامل من عوامل الضعف في صياغة القصيدة".

فأرى أنه كانوا يجوزون ذلك مدح الملوك، فالمدائح النبوية أولى بهذا النوع من الخاتمة لما فيها من المعاني الروحية التي تمسك الشعراء الصوفيين بشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد ختم الشيخ عبد السلام قصيدته "هدية الأحباب" في مدح الشيخ مصطفى الكانمي والشيخ كياري في خمسة أبيات قائلاً[1]:

ونختم الأمداح بالصلاة ... مقتفيًا قصائد الثقات
على النبي صاحب الصلاة ... وآله والأنجم الهدات
من صحبه وجنده وتبع ... وتابع لهم وكل داع
وغفر لكل نؤمن ومسلم ... من أمة النبي خير الأمم
من حر وعبد كبير وصغير ... وذكر امرأة هيا

وفي هذا الصدد، إذا نظرنا إلى الأبيات المذكورة تجد أن الشاعر قد دعا رب العالمين لجميع المسلمين بالغفران قائلا: اغفر يا رب لكل مؤمن ومؤمنة مسلم ومسلمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سواءً كان حرًا أو عبدًا صغيرًا أو كبيرًا ذكرًا أو أنثى، ثم طلب من الله تعالى أن يستجيب دعاءه، ثم ختم منظومته بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن الملاحظ أن الشعراء البرناويين يدعون في خاتمة قصائدهم بالدعاء للرسول صلى الله عليه وسلم والاستغاثة به والثناء على الله والصلاة على الرسول والتوسل به، هذا ظاهر في جميع قصائدهم.

وهذا يفسر لنا تعلقهم الشديد بنبيهم وحبيبهم عليه الصلاة والسلام، وتأثرهم بالتعليم الإسلامي المستمر، وفي هذا السياق اختتم الشيخ أحمد أبو

(١) الشيخ عبد السلام بن حمدون، هدية الأحباب في مدح الشيخ مصطفى الكانمي مخطوط طبع التصورية، حقوق الطبع محفوظة، ١٤٠٢هـ، ص ٦-٧.

الفتح قصيدته التي مدح بها سيد الوجود[1]:

يمين رسول الله هداية سلام على المختار لا منتهى ولا
مقام رسول الله مرآة ذاته عليه صلاة الله لا مقام بها لها

أما الشيخ أبوبكر المسكين في مدح السيخ علي سيس يقول في خاتمة القصيدة[2]:

رضى الله تترى بالدوام عليكمُ خصوصًا أبا العباس خاتم خاتم

فكلمة خاتم خاتم المكررة توحي إلى انتهاء القصيدة، والبيت الأخير انتهاؤه بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول الشيخ محمد غبريم في خاتمة قصيدته في أربعة أبيات[3]:

صلى الإله على النبي محمد تعطي المنى والسؤل ثم تديمهُ
صلى عليه الله غير مقيد فالقيد حد والحدود تذيمهُ
وعلى الأماثيل آله سبل الهدى أحمد الولاية ضمهم تكريمهُ
وعلى الصحاب القائمين مقامه والتابعين وهكذا تسليمهُ

المطلب الثالث

صدق العاطفة في القصدة

صدق العاطفة عنصر أساس من عناصر الأدب، وهو ينقل لنا شعور الأديب وإحساسه المرهف كما يقوم بإشارة شعور الآخرين وإحساسهم تجاه هذا الإنتاج الأدبي فلا تجد متعة ولا تذوقًا لجمال الألفاظ في عمل من الأعمال الأدبية إذا خلا من هذا العنصر.

(١) بقة محمد الثالث، الشعر الصوفي للشيخ أمجد أبو الفتح من عام ١٩٢٢م، ص ١٤٥.
(٢) الشعلى أحمد عبدالله، الشيخ أبوبكر المسكين وإنتاجاته في الشعر العربي، بحث قدم لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية جامعة ميدغري، ١٩٩٤م، ص ٢٣-٢٢.
(٣) محمد مي أبوبكر، ديوان تهنئة الوارد في مدح خير العباد التاكلي، رسالة ماجستير قدم لقسم اللغة العربية جامعة بايرو كانو نيجيريا ١٩٩١م.

ومن ثم يجب أن تتسم العاطفة بسمة الصدق في التعبير التي بها نتأكد من صحة صدور هذا العمل من شعور الأديب وإحساسه الحقيقي لهذه التجربة وبها تستعد لقبوله، ولا يقصد بصدق العاطفة، الصدق الواقعي أو الأخلاقي، بل الذي تكشف به على كون الشاعر أو الأديب قد صدق فيما يُعبر عنه أم لا، وإنما يقصد به: "صدق الشعور والإحساس بالحياة، وصدق التأثر بالمشاعر، وهو الصدق الفني"- على حد تعبير الشهيد سيد قطب(١).

إن صدق العاطفة له أهمية في أي عمل فني وهي التي ترفع من منزلة الشاعر إن كانت مشاعره التي يرسمها لنا صادقة وليست كاذبة وعلماء برنو الذين قاموا بدور الشعراء لغاية الدين والحفاظ على لغة القرآن الكريم تجد صدق عاطفيتهم في أشعارهم للأسباب الآتية:

"إنهم يتعاطون الشعر وسيلة لا غاية في حد ذاتها، فهم ليسوا من الشعراء المكتسبين بالشعر أو المتعلقين به للمعيشة أو حتى لكسب الشهرة من خلاله. فالعلاقة بين المادح والممدوح أو الوائل أو المتوسل علاقة روحية دينية لا غير"(٢).

يقول الشيخ أحمد أبو الفتح:

لقد جاء خير الناس أكرم مرسل بخير كتاب الله أكرم به هدى

وإذا واصلنا السير مع الشيخ عبد السلام في قصيدته الجهد المقل في بحر الطويل التي مدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، نجد أن قصيدته تمتاز بصدق العاطفة والشعور الملائم، ووحدة الإحساس لمدائحه للرسول

(١) قطب، سيد: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه- بيروت لبنان، ص: ٣٥ .

(٢) كياري، إبراهيم الشريف (الدكتور): البردة الجيمية- رسالة الدكتوراه، مقدم إلى قسم اللغة العاربية جامعة بايرو كنو عام ٢٠٠١م ص: ١٩.

صلى الله عليه وسلم، ليست إلا تعبيرًا صادقًا في قلبه نحو الرسول الحبيب صلى الله عليه وسلم كقوله[1]:

بمدح رسول الله يكشف غمنا ... نبي عظيم القدر في كل مشهد
فمدح رسول الله صعب فإنني ... علمتُ بأني لست أهلاً أن نشد
سراج منير شاهد ومبشر ... نذير شفيع الخلق في الحشر ذي اللد

يقول الناظم في مطلع القصيدة لا ينكشف غمنا إلا بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي رفع الله شأنه في كل مشهد، فمدح رسول الله صعب عليّ، لأنني لست أهلاً لأن أنشئ قصيدة في مدحه وهذا يدل على تواضعه وصدقه في هذا المجال لأن كل ما يقوله عن ممدوحه صادقًا فيه وقد وصفه بالسراج المنير ألا وهو مصباح مضيء وهو شاهد على أفعال أمته يوم القيامة. وقال تعالى: ﴿وكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾ [النساء: ٤١]. وفي موضع آخر: ﴿انا أرسلناك إلا شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

ويقول أيضًا في موضع آخر مادحًا الرسول صلى الله عليه وسلم ومفضلاً شخصيته على سائر الرسل قائلاً[2]:

وتقتبس الأنوار نورك والهدى ... هداك فلا سواه تؤيد
وشرعته كل الشرائع أبطلت ... تبقى ليوم العرض واللوم والوعد

لقد بين الشاعر صدقه وعاطفته في كلماته نحو الرسول صلى الله عليه وسلم، إن الأنوار تعكس ضوءها من نوره، لأنه مصدر الأنوار كلها، هو الذي يهتدي بنوره، فليس هناك من دعا إلى الهدى مثله من بين الأنبياء، وليس له منافس في ذلك إلى الأبد إطلاقًا.

(١) عبد السلام – جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقة والمقل طبعة تصويرية ص: ١.
(٢) عبد السلام – جهد المقل في مدح من لا يدرك حقيقة والمقل طبعة تصويرية ص:١–٢.

وهذا أيضاً الشيخ عبد القادر التالكي في ديوانه: "تهنئة الوراد في مدح خير العباد" مفضلاً شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء من حيث الأوصاف والخصال الكريمة قائلاً[1]:

بخير الأنبياء صلاة ربي سراج الكل وهو لهم صراط
وأطيبهم وأتقاهم وأوفى ذمامًا إذ يساعده النشاط

استهل الشاعر قصيدته بالصلاة على الرسول وإظهار عظمته واعترافًا بقدره وجلاله، ثم مضى في التعبير عن إعجابه بهذه الشخصية الكريمة من حيث فضلها وعظمتها على سائر الأنبياء التي مثلها بالسراج كما أنها كانت صراطاً لهم وشافعًا.

إن صدق عاطفة الشاعر يظهر من حيث تعبيره عما يؤمن به في أعماق قلبه، وعما يلهف به شعوره وتقديره لذات الرسول صلى الله عليه وسلم.
إذا نظرنا نظرة دقيقة إلى هذه الأبيات، التي ذكرناها نشعر بملامح العاطفة القوية التي تنبعث من فؤاد الشاعر من حيث تصوير الصدق في انفعال الألفاظ العاطفية.

فيمكننا أن نستخلص من خلال هذه الشواهد أن مدائح شعراء برنو قد اتسمت بصدق العاطفة وقوة الشعور، وذلك لأن مشاعرهم الدينية سيطرت على قلوبهم محبة الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) أبوبكر ،محمد مي، : ديوان تهنئة الوراد في مدح خير العباد، ، ص: ١١١ .

خاتمـــــــة

من خلال دراستنا لهذا البحث المتواضع نتوصل إلى أن كانم برنو أسهمت منذ أمد بعيد في نشر مؤلفات الشعر العربي الإسلامي، وذلك من خلال عرضنا لهذا البحث، حيث تناول الباحث الشعر العربي من مؤلفات علماء البرنو حيث لعبوا دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية والإسلامية وتطورها في هذه المنطقة، ولقد أسهم الكثيرون من علماء في فرض الشعر العربي، أبرزهم الشيخ/ عبد السلام بن حمدون الذي ترك آثاراً في هذا المجال الشعري.

أهم النتائج:

١- من جانب الأسلوب، نلاحظ فيه مظاهر تعاليم إسلامية في كيفية نظم القصائد حيث تجد الشاعر البرناوي يتهل قصائده بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختتم بالدعاء.

٢- وفي جانب الأغراض التي نظم بها قصائده بأنها أغراض تقليدية من المدح ويلاحظ الباحث أن الشاعر لم ينظم قصائده في وصف الخمر والهجاء المغذي وذلك لأنه مشبعاً بمدء الشعر الإسلامي مع دراسته لكتب الأدب القديمة ومعرفة أسرارها وتذوقها.

التوصيات:

يوصي الباحث بالكتابة والنشر لقصائد شعراء البرنو المدونة دون نشر عامة، ومدائح النبي صلى الله عليه وسلم، خاصة.

كما يوصي الباحث على استمرار نشر مؤلفات علماء الشعر العربي البرناوي القدامى حتى يتثنى لطلاب الأدب العربي والباحثين على نهل

وتذوق هذا التراث الجميل من أصوله القديمة.

وكذلك دراسة القصائد الأدبية والشعرية وتحليلها وبيان مظاهرها وإبداعاتها الشعرية المكمونة، وإخراج شتى جوانبها الأدبية.

المصادر والمراجع

١- آبادي، محمد شمس الحق: عون المعبود، شرح سنن أبي داود، دار الفكر بيروت لبنان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٢- ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي، القاهرة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٣- الجندي، علي: الشعراء وإنشاء الشعر، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٩م.

٤- الروبي الحسين بن أحمد بن الحسين(الامام الاديب) شرح المعلقات السبع، دار الطلائع للنشر والتوزيع، مدينة نصر القاهرة ٢٠٠٥م.

٥- الشعلى أحمد عبد الله، الشيخ أبوبكر المسكين وإنتاجاته في الشعر العربي، بحث قدم لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية جامعة ميدغري،١٩٩٤م.

٦- الشيخ عبد السلام بن حمدون، هدية الأحباب واصلة إلى ذوي الألباب في مدح الشيخ مصطفي الكانمي، حقق الطبع محفوظة.

٧- العربية، مجلة الثقافة العربية– قرية اللغة العربية انغالا نيجيريا العدد، الأول: عام ٢٠٠٧م.

٨- القيرواني، الحسن بن علي الأزدي (ابن رشيق): العمدة، الطبعة الخامسة، دار الجيل بيروت لبنان ١٩٨١م.

٩- النبهاني، يوسف بن إسماعيل (القاضي): حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين.

١٠- برايا، محمد سليمان: الشيخ عبد السلام وإنتاجه الشعري في الأدب العربي، بحث تكميلي مقدم إلى قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية للحصول على درجة الماجستير في الدراسات العربية، جامعة ميدغري عام ١٩٩٤م.

١١- بقة محمد الثالث، الشعر الصوفي للشيخ أمجد أبو الفتح من عام ١٩٢٢م.

١٢- زكي مبارك(الدكتور)المدائح النبوية في الآداب العربية، طبع بمطابع المصطفي البابي الحلبي وأولاده، ١٩٣٥م.

١٣- زينو، محمد جميل: مختصر القصيدة الإسلامية من الكتاب والسنة الصحيحة، مطبعة مراقبة الكتب والمطبوعات، مكة المكرمة.

١٤- غلاونتي، شيخو أحمد، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا.

١٥- قطب، سيد: النقد الأدبي، أصوله ومناهجه، بيروت لبنان.

١٦- كبر، شيخ عثمان (الدكتور): الشعر الصوفي في نيجيريا، النهار للطباعة والنشر والتوزيع، مصر ٢٠٠٤م.

١٧- كياري، إبراهيم الشريف (الدكتور): البردة الجيمية، رسالة الدكتوراه، مقدم إلى قسم اللغة العاربية جامعة بايرو كنو عام ٢٠٠١م.

١٨- محمد مي أبوبكر، ديوان تهنئة الوارد في مدح خير العباد التاكلي، رسالة ماجستير قدم لقسم اللغة العربية جامعة بايرو كانو نيجيريا ١٩٩١م.

١٩- مسلم، بن الحجاج: صحيح مسلم، دار الحديث القاهرة ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٠- نتائس، مجلة أكاديمية سنوية لمنظمة معلمي الدراسات العربية والإسلامية بنيجيريا، ج٦، سبتمبر ٢٠٠١م.